العدد ٨٦٠ — الاثنين ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

محمود حسن زناتي ... ... : للاستاذ أحمد حسن الزيات ١٧٥٣
على محمود طه ... ... : للاستاذ أنور المعداوي ١٧٥٥
بودلير وفن الشعر ... ... : للاستاذ عبد الفتاح الديدي ١٧٥٨
الشعر المصري في مائة عام ... ... : الأستاذ محمد سيد كيلاني ... ١٧٦٢
المشكلة اليهودية والعالم ... ... : الأستاذ عدنان الكيالي ... ١٧٦٥
قلبي ... ... : الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٧٦٨
« الأدب والفن في أسبوع » : افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي — ١٧٦٩
فلم الأسبوع (بنت السمدة) كشكول الأسبوع ١٧٧٠
« البريد الأدبي » : القصيدة الأسدية — للاستاذ المغربي ١٧٧١
لل الأستاذ كامل محمود حبيب ... ...
« رسالة النقد » نهضة العراق في القرن التاسع عشر للاستاذ ابراهيم الوائلي ١٧٧٣

٣٣٠٥١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العـــدد القـــادم

هو

العـــدد الممتـــاز

فترقبوه يوم صدوره

انتظروا :

عدد « الرســـالة » السنوى « الممتاز »

فى يوم الأثنين ٣ يناير سنة ١٩٥٠ وهو حافلا

كعادته بأروع ما يكتب فى موضوعه

لصفوة من أقطاب البيان

فى مصر والعـــالم العربى

نسخه معدوده وثمنه ثلاثون مليما

17 me année No. 860

Lundi — 26 — 12 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

محمود حسن زناتى

كنا ثلاثة ألفت بيننا وحدة الطبع والهوى والسن ؛ فالطبع روح فكه ، والهوى درس الأدب وقرض الشعر ، والسن فتية لا تجاوز السادسة عشرة . وكان له قاعدة الثلث ، ومحمود وأنا ضلعيه القائمتين أو كان المبرد صاحب الكامل قلب الطائر ، والزمخشرى صاحب الكشاف، وثلب صاحب الفصيح جناحيه الخافقين وتلك كانت ألقابنا على الترتيب ، اقب بها بعضنا بعضا لنزعة فكرية أو نية كان ينزعها كل منا فى نظر أخويه . ووجه الشبه بيننا وبين الثلث أن وجودنا كان كوجوده ، لا يتصور فى الذهن ولا فى الخارج إلا بأضلاعه الثلاث على أى شكل يكون وأما وجه الشبه بيننا وبين الطائر فإن حياتنا كانت كحياته ، تردد إلى كل روضة ، وتغريد على كل شجرة ، وتحليق فى كل جو . كنا ننتقل من حلقة العلم إلى درس الأدب ، ومن درس الأدب إلى مجلس الشعر ، ومن مجلس الشعر إلى دار الكتب ، ومن دار الكتب إلى الجامعة المصرية القديمة ، ومن الجامعة إلى إدارات الصحف نعرض عليها ما كنا نسميه يومئذ شعرا ؛ ثم ننتهى إلى دار أحدنا فنتدارس ما حصلنا من علم ، ونتباكر ما حفظنا من أدب ، ونتنادر بما سمعنا أو رأينا من سخف ، فإذا أخطأنا أو نسينا لجأنا إلى ذاكرة محمود العجيبة فتعيد ما وعت لا تخرم منه حرفا ؛ فنصحح أو نستكمل أو نستفيد . وإذا سئمنا أو ونينا فزعنا إلى حافظة محمود الخصيبة فيسرى عن خواطرنا بقطعات من أعذب النوادر يحكيها عن نفسه، أو يرويها عن أبيه، أو ينقلها عن حياته وزناتى حدث طليق اللسان متفنن الحديث تسمع منه النادرة عشرين مرة وكأنك لم تسمعها من قبل لجمال عرضه وجاذبية أسلوبه . ثم كان الطائر يقلبه النابض بالأمل والحب ، ويجناحيه الخافقين بالخيال والنشوة ، يضيق أحيانا بعشه الباغم فى ركن من الرواق العباسى بالأزهر الدورى المادر، فيخرج إلى عدوه الطبيعة يستمتع بفنائها فى خمائل المطرية أو حدائق الجزيرة ، فتتصل بالحياة المصرية ، وتنال من ثمار المدنية ، ثم نعود إلى الأزهر فنجد الاختلاف شديدا بين حياته وحياة

الناس فتقلق وتثور ، ويكون مظهر هذا القلق وهذه الثورة التمرد على الأزهر المنزل عن العالم، والسخرية من الطلاب المنصرفين إلى الفقه، والعبث بالشيوخ الجاهلين بالأدب . وكنا حينئذ في عهد اليفاعة حين يكون العيش كله حبا عارما لحبيب غير مشهود ولا ممهود . كان كل منا يحب أخويه حبا غلب على كل شيء . فإذا اجتمعنا عكفنا على هوى واحد هو الأدب ، وإذا افترقنا نزعنا إلى هوى واحد هو نحن الثلاثة . وكنا نعيد الجمال في أي معنى وفي أي صورة ، والجمال في حياء أبقاع من طلاب الأزهر لا يرون غير العمامة، ولا يسمعون غير الصمامة لا يمكن إلا أن يكون حلما أو خيالا أو مثالا أو شيئا من نحو ذلك ، وكنا نعشق الكتب فلم ندع في الأدب كتابا مطبوعا ولا مخطوطا إلا قرأناه أو قلبناه ، والمكتبة العربية كانت يومئذ بالنسبة إلينا (الكتبخانة المصرية). وكان محمود أشدنا غراما بالمكتبات والمخطوطات ، فكنا حين ننصرف، طه وأنا، للدراسة الفرنسية ينصرف هو إلى مكتبة الأتراك ، أو مكتبة الأزهر ، أو دكاكين الوراقين ، ينقب عن نوادر الكتب فيستعيرها أو ينسخها أو يشتريها ، لذلك كان أعلم الناس بأسماء الكتب وسمانها وشياتها وموضوعاتها ومؤلفيها، وقد ظهر أثر ذلك حينما عمل مشيرا في دار الكتب المصرية فقد انتقد فهارس الدار نقدا قويا عنيفا كان مثار خصومة بينه وبين زملائه . ومحمود كان لا يلين ولا يهادن إذا كان معه الحق . ولقد كان عمله في وزارة المعارف وفي وزارة الأوقاف نزاعا متصلا بينه وبين رؤسائه ، لأن الوظيفة الحكومية تقتضي صاحبها المصانعة والمداراة والمداهنة، ومحمود كان مستقيم الطبع فلا يلتوي ، شديد الإباء فلا يستكين ، قوي الشكيمة فلا ينقاد ، حافظ اليمين فلا ينقض . من أجل ذلك طلب أن يحال إلى المعاش فأحيل قبل سنه بعشر سنين .

عرفت محمودا في درس النحو، وعرفت طه في درس الأدب ، وكان بين المرتين شهران أو ثلاثة. كنت أحضر درس النحو الذي يلقيه الشيخ عبد الله دراز في مسجد محمد بك أبو الذهب ، وكانت لي بين رفاق شهرة بصنع الكلام الموزون المقفى، فكان هذا يطلب مدحة في باشا ، وذاك يطلب تهنئة لعمدة ، وذلك يريد مرثية في قريب . وعلم ذلك محمود فجاءني ذات يوم وأنا في الدرس يشكر إلي أنه صنع تاريخا لمولود في شطر ولكنه يحتاج إلى واحد ليتم به عدد السنين ١٩٠٤. فنظرت في التاريخ فأعياني أن أجد هذا الواحد، فقلت له : اكتب الشطر الأول هكذا: «و بالفرد استنت لكي أؤرخ» والفرد معناه الله ومعناه الواحد الأحد . فضمه بين قوسين واحسبه واحدا. أما حزم المضارع فللضرورة ، والضرورات ترفع المحرورات . فسر محمود بهذا الحل سرورا عظيما وحببني منذ ذلك اليوم لا نكاد نفترق حتى ألفنا بطه في درس الرصافي ، فتوثقت بيننا عرى المودة، وتصادقنا على المحبوب والمكروه، وتصافينا على القرب والبعد ، ومُثِّل كل منا أخويه خمسا وأربعين سنة تصدع فيها الشمل، وافترق الطريق ، واختلفت الخطوط ، وانسمت الفروق ، وتقلبت الأحياء ، وكثرت الأصدقاء ، وتوزع القلب ، وتغيرت الدنيا ، واضطرب العالم كله مرتين ، ولكن صداقة الشباب ظلت راسخة الأصل في أعماق الفؤاد لا يعبث بها الحدثان ولا ينال منها الزمن .

* * *

كنا ثلاثة فأصبحنا اثنين : طه حسين وأنا . أما محمود فإنه قد سبقنا إلى الغاية التي لا بد أن يبلغها كل حي . مات محمود وبكاه طه في (الأهرام) بكاء هز قلب الخلي واستدر عين الغريب . وبكاء طه على محمود بكاء على عهد مضى لن يعود، وعلى صديق قضى لن يعوض — مات محمود على فراش غير داف ولا وثير ؛ لأنه كان وحيد أبويه ، وكان أبوه وحيد جديه ، فلم يكن له من عصبيته أخ ولا عم ، وكان الله قد جعله عقيما فلم يكن له من صلبه ابن ولا بنت. ونزل به منذ ثلاث سنين مرض فادح طال وأعضل حتى صلبه الأمل وحرمه الراحة ونقله بنوا خواله إلى ناي وهو في نهاية الشوط ونزاع الروح . وكان طيلة مرضه إذا هدي ينشد شعر الشنقيطي وكان يحفظه كله ، وإذا وعى ذكر طه والزيات وتمنى لو يهادنه المرض وتعاوده الصحة فينشئ ما كان ينشئ من أماكن ، ويزور ما كان يزور من أصحاب ! رحمك الله يا محمود وبرد بالغفران والرضوان ثراك ! لقد كنت حريصا على الوداد حين ضاع الوداد ، وسخيا بالوفاء حين عز الوفاء . وأحسن الله عزاءك وأطال بقاءك يا أخي طه ! لقد ذكرتني أواخر الصبا وأوائل الشباب وعهدا غفل عنا الزمان فيه فنعمنا بالأخاء المحض والصفاء الخالص ! ومن الذي ينسى أيها الأخ الكريم ربيعه وهو في الخريف ، وشروقه وهو في الغروب ؟ لقد ابتدأنا في الرواق العباسي ومعنا الشباب والأمل ومحمود ، ثم انتهينا إلى مجمع فؤاد ومعنا الشيخوخ والذكرى ولا شيء !

أحمد حسن الزيات